

السيء ، بالاعتراف به ، بالفوضى في تقريرته وجحيمه ، والتساؤل عن مدى سيطرة هذا الواقع ومدى قدرة هذا المعاني له على الخلاص منه ، بحكاية يونس كما يرويها النص القرآني :

﴿ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٥١)

وفي جوف الحوت عاود يونس النبي التفكير بحسرة وبأس :

﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ (٥٢) .

وهكذا استطاع حاوي أن يُوحّد الآني بالأزلي ، بالثقافة الجمعية للأمة ، لينطلق من هذا كله ، في تفجر عاصف عبر الفعل الشعري محاولاً استكشاف آفاق الآني / الأبدي ! إن الرمزي / الأسطوري المتمثل في « في جوف الحوت » ، الذي استمده حاوي منطلقاً من التراث الجمعي للمُخاطَب ، لم يكن بهدف إظهار غنى ثقافي معين أحبّ الشاعر أن يُباهي به معاصريه . فالمادة التراثية في « في جوف الحوت » معروفة ومفهومة ، على مستويات متعددة ، من قبل كلّ الناس : من الأمي الساذج إلى المثقف صاحب المعارف المتشعبة والموسوعية ، إلى الممعن في الرؤى الفلسفية والصوفية . ولم يكتف حاوي بعملية إسقاط يمارس من خلالها تمثّل نفسه في شخصية النبي يونان يونس . لقد انطلق من مبدأ معاناة القائد الخائب المفجوع في يونان ( يونس ) ليعبّر ذاته و يبلغ من خلال هذا العبور إلى المتلقّي المتفاعل مع النص الشعري . فلم يعد الرمزي / الأسطوري ههنا علامة معينة للدلالة على عقيدة أو أفكار محددة . الرمزي / الأسطوري أصبح ساحة واسعة هي الأقدر على احتواء الرؤيا والانطلاق بها . وكأن حاوي في هذا الاستعمال للرمزي / الأسطوري استطاع تأكيد قدرته الفنية وعمق الحدس لديه بتحويل العلامة إلى رمز يتجاوز مادته المباشرة ليصل إلى مستوى المعاناة الشاملة . وكان كلام عز الدين إسماعيل عن كيفية النظر إلى الرمز في الشعر تأتي لتأكيد خطة حاوي ومنهجه . وفي هذا الصدد يقول إسماعيل إن « النظر إلى الرمز في الشعر بوصفه مقابلاً